النشاط الثقافي في العالم

اعداد : عايدة مطرجي ادريس

فرنسا

فيتنام : أو الحرب الكيماوية

***

ظهر مؤخرا في باريس كتاب هام للطبيب الفرنسي ميشال سكا Michel Sakka يفضح فيه الحرب الكيماوية والبيولوجية التي يقوم بها الاميركيون في الفيتنام . وقد استقى المؤلف وثائقه ومعلوماته من وكالات الصحافة الغربية والاميركية ، ومن بعض مؤلفات عرف كتابها بالامانة ومن شهادات شخصيات متعددة ومن التصريحات الرسمية للحكومة الديمقراطية الفيتنامية ، ومن بيانات الجبهة الوطنية لتحرير جنوب الفيتنام . وجميع هذه المصادر تتفق وتصدق الاحداث التي يوردها الكتاب .

وأهم ما يطرحه الكتاب هو هذه الاسئلة : ما هي هذه الاسلحة الكيماوية والبيولوجية ؟ وهل هي المرة الاولى التي تمارس فيها مثل هذه الحرب على نطاق واسع ؟ وهل ان الشعب الفيتنامي يتخذ كحقل تجربة لمثل هذه الحرب ؟ آلا يمكن ، بتصعيد هذه الحرب ، ان تهدد الانسانية كلها ؟ ما هي المجازفات التي يعرضها الغزو الاميركي للعالم ؟ هل الحرب الجرثومية هي حرب الغد ؟ هل رجال العلم مسؤولون بنوع خاص عن هذه الحرب ؟

وفي مقدمة الكتاب شرح ميشال سكا الغاية من كتابته بقوله : « ان تنوير الرأي العام على كل ما يجري في هذا النطاق ، هو عمل دعائي مفيد ، ولكنه ايضا ، بالنفور الذي يحدثه ، يساهم في العمل لاجل السلام في الفيتنام . فان ما يجري في الفيتنام يعنينا نحن ايضا » .

ويذكر المؤلف ان استعمال المواد الكيماوية في هذه الحرب قد تم على مرحلتين : المرحلة الاولى كان الجيش الاميركي يستعمل هذه المواد على الاعشاب . ثم أصبح الغاز يوجه نحو الناس . وينشر المؤلف هذا التطور ونتائجه ، فيعلن ان « استعمال النابالم بهذه الكثرة ، والفوسفور ، والمواد السامة والغازات مدعوم من قبل شركات استثمار الصناعات الكيماوية التي ترى مصالحها تتضخم ، وترى بالتالي ان من صالحها استمرار هذه الحرب ، وان ينتشر استعمال هذه المواد وسموم أخرى ، بما فيها أيضا الحرب البيولوجية » .

والحرب البيولوجية تكمن في استعمال أجسام متناهية في الصغر تنفذ سمومها في الجسم فتحدث في الانسان أوبئة وتهلك طعام الحيوان وتتلف المزروعات والمحاصيل . والمنظورات المتوخاة هي الموت اما بالمرض او بالمجاعة أو بالاثنين معا . وفي هذا الجزء من الكتاب يفضح المؤلف هذه الاساليب الفظيعة .

وينتهي الكتاب بلوحتين ، احداهما تعميل من العملاء الكيماويين المرخص لهم رسميا من قبل الولايات المتحدة الاميركية لاستعمالهم في فيتنام الجنوبية ، والاخرى لمواد كيماوية مستعملة من قبل الولايات المتحدة الاميركية في فيتنام الجنوبية (غير المرخص بها رسميا) .

وكملحق للكتاب يطلع القارىء على نص بروتوكول « جنيف » لعام ١٩٢٥ المنصوص فيه تحظير استعمال الغازات الخانقة في الحروب والوسائل النيكتريولوجية ، كما يورد فيه قانون محكمة نورنبورغ وقانون اللجنة الطبية للسلام الصادر في ٢٢ حزيران عام ١٩٦٥ باجماع الاطباء الحاضرين .

وهذا الكتاب يتوجه الى جميع العاملين من أجل السلام . ويشكل مصدرا لا ينفد من الادلة ضد الغزو الاميركي . ولكن يجب أن يوضع بين أيدي أولئك الذين ما يزالون يعتقدون أن الولايات المتحدة أعجز من أن تستعمل وسائل وحشية لتمحو ، بأية وسيلة ، الفيتنام الذي يناضل من أجل حريته ويستمر في نضاله بينما تتكاثر الاصوات المرتفعة ضد الغزو الاميركي .

هجرة شعرية

أثارت مسرحية الكاتب اللبناني باللغة الفرنسية جورج شحاده اهتمام الصحافة الادبية في فرنسا ، فكتب عنها الكثير ، وقال عنها غي دومور في « انوفيل اوبسرفاتور » : « سهرة بلا صراخ ، بلا زئير ، بلا عشق ، بلا بتر للمفاصل . كم يستطيع المرء أن يتنفس ، وكم هو مريح . أجل ، أن جورج شحادة هو من جيل آخر : جيل لوركا ، وايلوار ، وجوليان كراك . انه يأتي من بلد ذي لغة قديمة جدا . فاذا أحبه السرياليون ، فلانه وجد بطريقة طبيعية ما يبحثون هم عنه .

فهذا المهاجر الذي يعود ليموت عند أبواب قريته فيزرع فيها الاسى والارتباك ، هو مهاجر لبناني صرف . والرجال ، في الجبل اللبناني ، أشد قدما من حجارته ، وهم يحلمون مثلها ، فاذا ما هبت ريح مريضة ، انفجرت المأساة أو المهزلة . خاصة اذا كان الحلم العائد يتعلق بالمال ، بالثروة العجيبة ، في مكان لا يعيشون فيه الا بالذكرى والخرافات والقديسين والشرف .

وفرقة « الكوميدي فرانسيز » ، وهي مسرح رصين ، قد أخذت قصة جورج شحادة الجميلة بحرفيتها . فاتخذت اطارا لها قرية حقيقية ، وأنوار قمر حقيقية ، ينبعث من جنباتها نباح كلاب وصهيل خيل . فكل شيء في المسرحية مدقق فيه ، ومراقب . ان المرء يحس انه يلمس من قريب هذا النوع من الاتقان المفلل الذي نحسده والذي يميز المسرحيات الكبرى الاجنبية » .

وقد سبق للمسرح الفرنسي ايضا ان مثل لجورج شحادة « مسيو بوبل » ولم يكن الشعراء هم وحدهم الذين استطاعوا أن يكتشفوا جمالات هذه اللغة التي هي اندهاشا أبدي أمام الكلمات .

وفي هذه المسرحية ، التي تختلط فيها المأساة والمهزلة ، يدخل المرء الى عالم اخر وتنبعث أمامه الخديعة المسرحية الكبرى .

وكتبت « الفيغارو ليتريز » معلقة تقول : « تنساب مسرحية جورج شحادة كأغنية حزينة ، بمقاطع متعددة ، وبلازمة . اما الممثلون فانهم يدخلون بلذة ظاهرة في تمثيل مسرح شحادة المرهف والعامي . انهم يكتشفون بسعادة ودقة عالم شحادة الذاتي » .

الاتحاد السوفياتي

قاموس روسي ـ عربي حديث

***

احتفلت الاوساط ذات العلاقة بالاستعراب ودراسة كل من اللغتين العربية والروسية ، والاوساط الادبية والثقافية عامة بحدث ثقافي هام أرخ له شهر ديسمبر ١٩٦٧ . هذا الحدث هو صدور قاموس كبير (٤٢ ألف كلمة) هو أول قاموس من نوعه من حيث جديته وأصالته وما بذل فيه من جهد كبير مخلص ، وكذلك من حيث عصريته واحترامه للمقاييس والمعايير التي توضع بموجبها وتخضع لها مصنفات المعاجم والقواميس وكتب الاستشارة والاستدلال .

المؤلف هو فالنتين ميخائيلوفيتش بوريسوف ، وهو عالم لغوي

مرموق ومستعرب يحظى بكثير من الشهرة لا على صعيد الاتحاد السوفياتي فحسب بل والعالم أيضا .

ولتبيان أهمية القاموس ينبغي أن نذكر ان دارسي الروسية ودارسي العربية ، والمستعربين ، والخبراء ، والمترجمين ، والطلبة ، والجمهور المنبع المهتم بهذه الدراسات ظل حقبة طويله من الزمن يعاني من عدم وجود قاموس جدي ، كبير ، معتمد في الترجمة من الروسية الى العربية أو بالعكس . واذا علمنا أن قواميس ومعاجم كثيرة وضعت في شتى اللغات تترجم من الروسية اليها ، ومنها قواميس روسية ـ فارسية ، وروسية ـ تركية ، كما منها القواميس التي تترجم من الروسية الى اللغات الاوروبية (مثلا في القواميس الروسية ـ الانكليزية والانكليزية ـ الروسية في حقول الثقافة العامة، والادب ، والسياسة ، والتكنيك ، والعلوم العسكرية ، وحقول أخرى كثيرة يوجد حوالي ٣٠ قاموسا) .. أقول ، اذا علمنا ذلك ، فهمنا كم كان ضروريا وملحا اصدار قاموس روسي ـ عربي يجيب متطلبات الحياة العصرية الحديثة من ناحية ويتساوق مع عظم واتساع العلاقات الثقافية العربية السوفياتية والتعاون والمزاملة الثقافية العربية السوفيانية .

وقد كان لصدور قاموس بارانوف (١٩٥٧) وهو مستعرب كبير يعتبر في الوقت الحاضر شيخ المستعربين الروس ، صدى كبير في الاوساط اللغوية والادبية . الا ان قاموس بارانوف هو قاموس عربي ـ روسي ، يترجم من العربية الى الروسية ، والمفردة المعتمدة فيه هي المفردة العربية وما يقابلها من كلمات متعددة ومعان عديدة في الروسية . فهو من هذه الناحية لا يفي بسائر الاغراض بل هو يجيب متطلبات دراسة واستيعاب العربية بين أبناء بلاد السوفيات ممن يفهمون الروسية ويستعينون بها ، عدا عمن يتكلمون الروسية أصلا . ويجدر بنا أن نقول ، هنا ، ان القاموس غني وأصيل ويمكن اعتماده دون أدنى تحفظ . وما من شك انه بهذه الصفات والشروط سيظل أمدا طويلا المصدر الوحيد المعتبر عند من يترجمون من العربية الى الروسية .

أما في القواميس الروسية ـ العربية فقد سجلت محاولات مستحق الاحترام حقا . فقبل الثورة كان العالم المعروف في البلاد العربية الاستاذ بندلي جوزي قد أصدر قاموسه الروسي ـ العربي (١٩٠٣) . بندلي جوزي هو صاحب كتاب من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، كما انه أحد من يعرفون التاريخ العربي والاسلامي معرفة جيدة وعامية. وبعد الثورة ، كانت القواميس الروسية ـ الانكليزية (ثم القواميس الانكليزية ـ العربية وخصوصا القاموس العصري لالياس انطون الياس وقاموس النهضة لاسماعيل مظهر وسواها) ، هي القواميس المعتمدة في عملية ترجمة ونقل مركب ، على مرحلتين ، للمفردة الروسية الى العربية . ثم صدرت قواميس صغيرة (للجيب) ، منها قاموس الفرحي (لطاهر الفرحي ـ في ١٩٥٩) ، وقواميس مدرسية واختصاصية (قاموس شرباتوف في ١٩٦٤ وهو قاموس روسي ـ عربي مدرسي بـ ١٦ ألف كلمة ، وقد سبق لنا الحديث عنه في « اداب » ديسمبر ١٩٦٦ يوم تحدثنا عن الثقافة العربية في الاتحاد السوفياتي) والقاموس الروسي ـ العربي ، والعربي ـ الروسي للمصطلحات العسكرية لمؤلفيه دانيلوف وريجوف وانيسيموف (١٩٦٥) .

الا ان كل هذه القواميس أما عنقت مثل قاموس بندلي جوزي الشهير ، او انها لا تفي ـ كما سبق أن أشرنا ـ بمتطلبات البحث والنقل والدراسة والترجمة في هذه السنين التي شهدت وتشهد بتعاظم واتساع العلاقات الثقافية والاقتصادية والصداقة السوفيانية العربية التي يبشر حاضرها بآفاق رحبة في اطراد والمزيد من اتساع وتعمق ألوان وأبعاد هذه الصداقة في المستقبل القريب والبعيد . ومن هنا كان صدور قاموس روسي ـ عربي ، كبير بعدد مفرداته ، وضخامة عطائه ، واخلاص جهوده ، كان عملا ثقافيا ، علميا ، صداقيا، سلميا كبيرا ورائعا . ان قاموس بوريسوف هو القاموس الذي كان منظرا ، او هو المرشح لان يشغل هذه المكانة ، على الاقل .

اعتمد قاموس بوريسوف معاجم روسية ـ روسية عديدة وشهيرة منها القاموس الاكاديمي (١٩٥٧ ـ ١٩٦١) وقاموس اوشاكوف (١٩٣٥ ـ ١٩٤٠) وقاموس اوجيكوف (١٩٥٢) . كما استشار قواميس روسية ـ انكليزية وروسية ـ فرنسية (صادرة في ١٩٥٥ و ١٩٥٨) . اما في مجال المعاجم العربية فقد اعتمد المنجد (لويس معلوف ١٩٥٤) و (المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١٩٦٠) ، وكذلك اعتمد قواميس مثل القاموس العصري (ط ١٣ ، القاهرة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣) ، والقاموس الحديث فرنسي ـ عربي (ط ١٣) ، والمعجم العملي للمصطلحات القانونية والتجارية والمالية (فريد فهمي ويوسف شلاله) ، وقاموس النهضة لاسماعيل مظهر ، وقاموس المترادفات والمتجانسات لرفائيل نخله (١٩٥٧) والمعجم العسكري ، انكليزي ـ عربي ، دمشق (١٩٦١) ، ومعجم المصطلحات الفنية انكليزي ـ عربي ، القاهرة (١٩٦٢) .

وما من شك ان قاموس بوريسوف قد اعتمد معاجم وقواميس أخرى ، فاستدلالات القاموس وتحديداته تدل على انه أفاد من قاموس دال الشهير في اللغة الروسية (صدر في العهد القيصري) ، كما انه أفاد من قواميس ذات عملية محضة مثل ما يصنف في دار النشر (التقدم) او قسم الترجمة في (وكالة انباء نوفوستي) وسواها . كما أن واضع القاموس قد أفاد من تلمذة مخلصة لعميد الاستعراب السوفياتي المستعرب الراحل الاكاديمي كراتشكوفسكي ولمستعربين سوفيات آخرين .

ان احتواء القاموس على ٤٢ ألف كلمة ومصطلح يعتبر بحد ذاته كسبا في مجال القواميس الروسية ـ العربية ، وان كان ابسط قاموس روسي ـ انكليزي يضم ما ينيف على الـ ٥٠ ألف كلمة ، وكذلك الامر بالنسبة للقواميس الروسية ـ الفرنسية والاسبانية والايطالية وما ماثلها .

والحق أن المرء ليتساءل ، مخلصا ، وبحرقة يمازجها ألم ، عن سبب عدم صدور قاموس روسي ـ عربي كبير يجيب المتطلبات والاغراض المتعددة المتنوعة ويرقى الى مصاف القاموس المعتمد المعتبر، مثل القاموس الروسي ـ الانكليزي (سميرنيتسكي) امدا طويلا .

وما من شك انه لو امتدت الحياة بكراتشكوفسكي لكانت اسهاماته في وضع هذا القاموس المعتمد المنشود أمرا ذا قيمة كبيرة . ومن ناحية أخرى ينبغي القول انه في وضع مثل هذا القاموس المنشود كان لا يمكن فقط بل ويجب ايضا ان تتعاون مواهب وامكانات وقدرات عدد من العلماء اللغويين العرب من اكثر من بلد عربي ، والمستعربين السوفيات (من شتى الجمهوريات السوفياتية) . وكان يمكن أن يوسع القاموس بحيث يضم اكثر من ٥٠ ألف كلمة ، كما كان يمكنه أن يتجنب العثرات والمزالق التي لا بد أن يصادفها الباحث والمؤلف اذا تصدى لعمل ضخم من هذا النوع ، مهما كان هذا الباحث ضليعا ومعتبرا ومبرزا في اختصاصه ، ومخلصا في جهوده . ان مساعدة هشام عقل ، وهو طالب عربي ، أفاد المؤلف في عدد من تحديدات النص العربي ، لا يمكن ان تفي بسائر المتطلبات ..

لسنا نريد ـ ولن يكون بوسعنا في مثل هذه العجالة التي وددنا أن نبشر بها القارىء العربي بهذا الحدث الثقافي الجليل ـ أن ننتقد القاموس بالتفصيل . لكننا نستطيع القول ـ تاركين التفصيل لمناسبة أخرى نجد الحيز اللائق بها ـ ان القاموس الحالي ، على ضخامته النسبية ، وانجازاته التي منها التحديد الدقيق للمعاني المفردة الروسية ، والشمول ، ومحاولة الاتيان بأحدث المطبوعات مما تعارف عليه المترجمون في مجال العلم والتكنيك وسواه ، لم يستطع تجنب نواقص وقصورات عديدة منها محاولة تكثير المفردات مع انها من حيث الجذر تتصل وثيقا وتتلاحم بحيث يمكن الاتيان بكلمة واحدة معناها

مع ما يشتق منها دون عناء كبير ، والافادة مما يقدمه ذلك من اقتصاد في الفراغ والحيز للاتيان بمفردات أخرى مختلفة تماما (وهذا مما يفعله القاموس الروسي – الانكليزي) . ففي اللغة الروسية يمكن أن يفهم عدد عديد من المشتقات المتصلة بمفردة واحدة ، او بجذر واحد متفرد . ومنها الوقوع في مزالق التحديدات العلمية التي لم يقر القرار عليها بعد ، مثل ايراد معان وكلمات مثل (بخار محمص) ! (ص ٦٥٦ ، و ايراد كلمات ذات دلالات عامية او محلية تماما (يستطيع أن يفهمها القارىء العربي في واحد من الاقطار العربية الاربعة عشر ، دون أن يفهمها القارىء العربي في قطر اخر لاتصالها باللهجة المحلية) مثل « احترق بالصقيع » (ص ٦٦٣) . ولو قال « انلف بالصقيع » او « أتى عليه الصقيع » لكان أقرب الى الصواب . ولو استشار المؤلف قاموس الياس انطون الياس لوجد انه يأتي بالكثير مما تضمه اللهجات المحلية او ما تعارف عليه الباحثون بحيث انه يكون أقرب الى الافهام (فمثلا يأتي الياس بالمعنى العربي في اللغة الادبية الفصيحة ، ثم بما يماثله في لهجة مصر وسوريا وفلسطين والعراق وحتى المغرب) . فمثلا توجد كلمة الوقوق (وهي في لغة أهل العراق – الفاختة ، أو الفختايه) ويقول بعضهم بترجمتها (باليمامه) – وهي نوع من الطيور الآمنة من فصيلة الحمام ، يمكن أكله . وأحيانا يسقط المؤلف في ما يمكن أن يسمى (بفانتازيا المستعربين) وهو ما يقيسه المستعربون ، بعيدين عن الاقطار العربية وحياتها اليومية الجارية ، قياسا منطقيا شكليا يكاد ان يكون حرفيا ، دون ان يكون مستعملا ووارد ، حتى ولو كان صحيحا ، مثل ايراد معنى (بعبقرية) وايراد مرادف لها (بقريحة) (ص ١٦١) ، في حين لم يتعارف أبناء الضاد على مثل هذا . كما ان المؤلف لا يتوسع في ايراد الامثال والعبارات التي ذهبت مثلا ، ولا يأتي ببيت أو بشطر من الشعر ، مع قدرته على ذلك ، وفائدة ذلك في جعل القاموس أكثر حيوية وأكثر تجاوبا وافادة .

وأمور كثيرة يمكن سردها في مجال مراجعة القاموس مراجعة انتقادية مخلصة ، الا اننا نؤجل ذلك لمناسبة أخرى .

ومهما كان الامر ، فالقاموس (ونحن نؤكد ذلك مرارا) هو قاموس أصيل ، يمتاز بجهد عبقري ، بدأه المؤلف ، كما يقول ، منذ عام ١٩٤٨ . وقد حال صدور قواميس أقل منه شأنا دون صدور هذا القاموس مثل قاموس شرباتوف . ان ما يحمد عليه واضع القاموس هو الدأب المثابر ، والصبر والاصطبار ، والمرونة ، والاصالة ، ومحاولة الشمول والاستيعاب .

على ان هذا لا يمنع محاولة تطوير هذا القاموس تطويرا خلاقا وتوسيعه ، وتعميق معطياته ، وتنقيحه على أيدي خبراء عرب وسوفيات اختصاصيين مشهود لهم بالباع الطويل في ميدان اختصاصهم . اننا ننتظر قاموسا أضخم من هذا القاموس لا بعدد المفردات فحسب ، بل بضخامة الجهد الدقيق المدقق في ايراد المعاني المتعددة ، بأمانة ، للمفردة الروسية ومشتقاتها ، وباتصال وثيق مع الحياة العربية المعاصرة ولغة كتبها وصحافتها وبحوثها ودراساتها .

ان قاموس بوريسوف هو ، حتى اليوم ، اكثر القواميس العربية جدية وأصالة . اننا نشد على يد واضعه بقوة ، متمنين له توفيقا أكبر ، واسهاما معتبرا في وضع القاموس الكبير ، العصري ، المنشود .

موسكو — جليل كمال الدين

« رجال الثلاثينات »

من أهم الكتب التي حظيت بالرواج والتعليق في داخل الاتحاد السوفياتي وخارجه كتاب « رجال الثلاثينات » لمؤلفه يوري زوكوف أحد كبار المعلقين السياسيين في صحيفة « برافدا » السوفياتية .

ولقد زاد اهتمام القراء والمعلقين بهذا الكتاب مع الاحتفالات النصف قرنية لثورة اكتوبر .

يتحدث هذا الكتاب ، بشكل رئيسي ، عن الفترة التي عرفت في الاتحاد السوفياتي بـ « العصر الحديدي » .

ومن أبرز التعليقات على هذا الكتاب ما نشره الملحق الادبي لصحيفة « التايمس » اللندنية في عددها الصادر بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ .

فقد ذكر الملحق الادبي ان المؤلف زوكوف قد أشار ، وبحق ، الى ان روسيا كانت خلال السنوات العشر التي تلت الثورة ، بلدا متخلفا لا حول له ولا طول في المجال الدولي ، وان أسس الصناعة الجديدة الجبارة قد أرسيت قواعدها في أول تشرين الاول من عام ١٩٢٨ ، عندما اندفعت روسيا ، تحت قيادة ستالين ، لانجاز مشاريع السنوات الخمس .

ويعلق كاتب المقال على ذلك بقوله : وبدون ريب كان زوكوف في تلك الفترة ستالينيا متحمسا . اذ يشير زوكوف الى ذلك بقوله : « ان الجميع كانوا ستالينيين » .

والجميع ، أو بالاحرى جميع ملايين روسيا ، كانوا يؤمنون بضرورة التعجيل في ادخال التصنيع الى روسيا ، اذ بدون التصنيع كانت روسيا ستنتهي الى الوقوع تحت عدوان أجنبي .

ويقول زوكوف : وينبغي الا يغرب عن الذهن ، انه بالرغم من الصعاب الجسام التي واجهت الاتحاد السوفياتي ، الا انه استطاع في عام ١٩٣٣ أن ينشىء سبع عشرة مؤسسة للفيزياء والتكنيك استوعبت ما لا يقل عن ألفين من العلماء . وفي ذلك العام ذاته عقد مؤتمر دولي في لينينغراد بحث فيه تركيب الذرة . ومن بين العلماء الذين حضروا هذا المؤتمر سكوبلتسين وخورشاتوف ، بالاضافة الى العلماء الاجانب الضيوف من أمثال فرانسيسك بيرين وفدريك جوليو – كوري . وفي أيلول من ذلك العام كتب جوكوف عميد هذه

يصدر قريبا

ديوان محمد مهدي الجواهري

يسر دار الطليعة ان تعلن بأنها اتفقت مع الاستاذ محمد مهدي الجواهري على طباعة مجموعة من أشعاره تبلغ اثني عشر ألف بيت تقريبا .

دار الطليعة للطباعة والنشر

بيروت – ص.ب : ١٨١٣

التشكيلة من المؤسسات السبع عشرة يقول :

أن شعبنا السوفياتي الفتي يتدفق الان بأعداد هائلة الى المعاهد. اما نحن العلماء والمهندسين وجماهير العمال فقد استطعنا أن نستوعب التكنولوجيا الغربية ، واننا لسوف نحول هذه التكنولوجيا الغربية الى تكنولوجيا اشتراكية اكثر كمالا .

ولا شك في ان ما قام به الاتحاد السوفياتي في الثلاثينات كان على مستوى صناعي فحسب . ويشير كاتب المقال الى عدد من الانجازات في هذا المجال ومن بينها انجازات في مجالات متعددة منها المجال الرياضي .

في تلك الاعوام تم مشروع سد الدنيبر عندما بدأت مئات من المعامل ترتفع في جميع أنحاء البلاد وتنشأ معامل التراكتورات في خاركوف وستالينغراد وتقوم مراكز صناعية جديدة هائلة . وفي عام ١٩٣٥ تم انشاء أول خط مترو في موسكو بما فيه المحطات البرونزية والرخامية المثلثة بثريات الكريستال . وقال مؤلف الكتاب : « ولم يسبق للاتحاد السوفياتي آن بنى أمثال هذه المؤسسات بهذه الكثرة وبهذه السرعة » . « ولقد قدمت هذه الانجازات بما فيها الانجازات الصغيرة نسبيا بدعاية واسعة النطاق ، الا ان ٥١٨ معملا صناعيا قد بني في عام ١٩٣٩ » .

ويقول كاتب المقال أيضا ان جوكوف عندما بدأ عمله الصحفي في لوغانسك عام ١٩٢٨ كانت البلاد بأسرها ما تزال متخلفة . وفي منطقة لوغانسك ذاتها ما يزال ٦٠ ألفا من الاميين . وقد سجل ان هناك سبعة الاف عاطلين عن العمل . ويستعرض الكاتب مصاعب التموين والتصنيع في تلك الفترة ، ثم يشير الى ان ستالين الذي كان لا يستقبل الوفود قد استقبل انذاك وفود عمال مناجم منطقة دومباس وأمضى معهم ساعتين ونصف الساعة . ويشير كاتب المقال الى ان ستالين في تلك الاونة كان يقوم بعمل مصيب جداً ، فهو من ناحية يقارع التروتسكيين ، كما كان من ناحية أخرى يعمل على الدفع بعجلة التصنيع . وكان ستالين أيضا قد علم في تلك الفترة وبأسف ممض ، ان الاراضي القابلة للارواء ما تزال نسبة ٩٦ ٪ منها بيد ملاك فرديين ، فأعلن انذاك ضرورة دفع عجلة الكولكتيف وأعلن ان الكولاك ـ المزارعين الكبار الروس ـ يعتبرون خصوما للنظام السوفياتي .

ويحدد جوكوف في كتابه طبيعة أوائل الثلاثينات فيقول : « لكل فترة معضلاتها الخاصة بها ، وفي الخمسينات واجه الاتحاد السوفياتي المشكلة التالية : كيف تنظم ثقافة الشباب وكيف ينبغي عليهم ، في اتمام دراساتهم الثانوية ، آن يعرفوا اكثر من شكسبير ومايكوفسكي علوم الفيزياء والرياضة ، بل كيف يستطيعون استخدام أيديهم في بناء بيوت لانفسهم ، وكيف يكونون قادرين على انتاج أدوات لحرث أراضيهم بأفضل طريقة مثمرة ؟ » .

أما في مطلع الثلاثينات فقد كانت المعضلة تختلف عن معضلة الخمسينات ... لقد كان السؤال هو : كيف نجعل هذه الملايين تتعرف على ألفباء التكنولوجيا الحديثة ، فقد كانت هناك ملايين من الشعب لم تتعلم سوى القراءة والكتابة في مؤسسات اللكبيز ـ مؤسسات تصفية الامية » .

ويقول الكاتب ان هذه المهمة لم تكن يسيرة على أية حال ، فبالرغم من ان الظروف المعاشية كانت قاسية في تلك الايام ، غير ان الشعب كان مقتنعا قناعة تامة بضرورة ما يقوم به ومؤمنا بالمستقبل . وكانت الحياة قاسية ولكنهم لم يلينوا بل قاموا بعملهم بحماس وانكار ذات ، وقد أبدوا عدم اكتراث يمكن آن يوصف بأنه انكار ذات اسبرطي ازاء السلع العادية .

ثم يقول كاتب المقال : « لقد كانت مشاريع السنوات الخمس انذاك لم تكتمل بعد . ويبدو ان المؤلف جوكوف لم يكن مخلصا تمام الاخلاص في اطرائه هذا لتلك الفترة . ومثال ذلك ان هنري فورد الذي كان شعاره « العمل من أجل العمل » قد بعث ببعض رجاله ليساعدوا في بناء نزني ـ نوفغورود التي كان فيها معمل للسيارات . وقام اخرون من الاجانب بعملهم هناك بصدق ضمير ، كما كان هناك البعض من الناس أكثر من مشككين في مستقبل المغامرة الروسية الصناعية .

ثم يقول الكاتب ان هناك صورا رائعة وسيرا كاملة عن بعض شخصيات الثلاثينات البارزة . ولقد قابل مؤلف الكتاب جوكوف في تلك الايام مالنكوف وهو أحد أبطال الحركة الثورية لعام ١٩٠٥ وبطل من ابطال الحرب الوطنية . وهو عقل جبار في الثورة الصناعية لاعوام الثلاثينات وكان يلح على الالتحاق بالجيش خلال الحرب العالمية الثانية (ويبدو انه شخص اخر غير مالنكوف الذي ترأس الوزارة بعد ستالين) . ولكن كثيرا من هذه الشخصيات اللامعة التي يصفها جوكوف بكتابه كانت أقل حظا من مالنكوف هذا ولقد طوتها حملات التطهير بين عامي ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ .

ومع ذلك فان من أهداف مشاريع السنوات الخمس هو بناء قواعد صناعية تستطيع أن تؤمن بقدر الامكان الشعب ضد أي غزو من العدو وآي قصف من الجو . وكانت المانيا في تلك الايام هي العدو الاكثر وضوحا ، ولكن هناك اليابان ايضا . وفي عام ١٩٣٢ كانت اليابان قد احتلت معظم آراضي منشوريا وهدد عدد كبير من المدن الصناعية المصاقبة للحدود المنشورية . وتقرر انذاك ان يقام مركز صناعي على نهر آمور الواقع على بعد ٢٥٠ ميلا في الشمال من مدينة خباروفسك . وفي تلك الاونة كانت الاتصالات الجوية نادرة جدا عندما هبط الرواد الاوائل في منطقة برمسك من حزيران ذلك العام . ولقد اتخذ قرار بانشاء مدينة جديدة آخرى وكان هذا القرار قد اتخذ من أحد قادة الجيش . وسيدمر ذلك كله خلال عمليات التطهير .

ويستعرض كاتب المقال بعد ذلك الانجازات الصناعية التي أنشئت في ذلك العام . ثم يشير الى ما آورده المؤلف ذاته من صور الفقر المدقع آلذي كان انذاك في منطقة آمور ذاتها والانجازات التي تمت كانشاء آسس السينما في احدى الغابات ، وحتى خريف ذلك العام لم تكن في تلك المنطقة اكثر من خمسين كوخا يسكنها ستة الاف نسمة. وفي عام ١٩٣٣ بدأت الامور تتحسن ، ولقد أطلق اسم «كومسومولسك» على تلك المدينة لذكرى أولئك الذين بدآوا بانشاء هذا الموقع وكان جميعهم من الشباب الشيوعيين (الكومسومول هو تنظيم الشباب الشيوعي) . ويستعرض الكاتب ما أورده المؤلف من المشاهد التي واجهها أولئك العمال الاوائل الذين قاموا بانشاء هذه المدينة واستخدموا كل جهدهم في سبيل انجازها . وذكر ان المارشال بلوخر الذي سقط صريعا في احدى حملات التطهير قد وضع بتاريخ ١٢ حزيران الحجر الاساسي لاول مصنع في مدينة كومسومولسك . ثم تلت ذلك ثلاث سنوات كانت الامور خلالها تبدو وكأنها تتطور الى الافضل . والوف من الكومسومول قد التحقوا بكل ذلك الجيل الذي بقي بعد حملات التطهير . وهكذا نجد ان مدينة كومسومولسك قد تطورت تطورا سريعا لتكون مدينة صناعية أساسية في تلك المنطقة . وكانت البشائر تدل على أن تلك المنطقة تزخر بكميات وفيرة من الذهب والفحم والمعادن . ويقول كاتب المقال ان المؤلف جوكوف يقدم لنا الشخصيات الرئيسية في مدينة كومسومولسك والمدن الاخرى المناخمة لها . ويستعرض المؤلف ، كما يروي كاتب المقال ، ما وقع بعد كارثة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ حتى مطلع عام ١٩٣٧ في مدينة كومسومولسك ويشير الى عهد الارهاب الذي ساد منذ كانون الاول عام ١٩٣٤ والذي لم يعف منه الا نفر قليل من الناس . ثم جاء عام ١٩٣٧ فاحتفل بأعياد رأس السنة لذلك العام في جو مشبع بالتفاؤل . وقد ذكر المؤلف ان أحد كبار الموجهين للصناعة الثقيلة قد أعلن ان مشروع السنوات الخمس الثاني قد بدأ يتقدم باضطراد نحو أهدافه فيما كان ميكويان قد أعلن عندئذ ان صناعة الاغذية قد اجتازت كل ما كان متوقعا لها .

وبعد ذلك توفي ذلك الموجه الكبير للصناعة الثقيلة ، وقد أقيم احتفال جنائزي رسمي له ، وكان من بين من هزهم الحزن عليه ستالين نفسه ، وفي الحقيقة أن هذا الركن من اركان الصناعة التقنية في الاتحاد السوفياتي قد انتحر احتجاجا على الارهاب الذي فرضه ستالين يومذاك . وكان يبدو ان شيئا ما يعد في الخفاء . وفي اذار ١٩٣٧ ألقى ستالين خطابه الرهيب الذي تحدى فيه المخربين والقتلة والعملاء والاجانب الذين انبثوا في جميع التنظيمات وفي جميع المستويات ، وفوق ذلك كله ، انضموا الى الحزب البولشفي ذاته . ويصف جوكوف في كتابه ، ذلك الفزع الذي أحدثه هذا الخطاب في كل مكان ، وأشار الى الصراع الطبقي في البلاد ذاتها ، ووصف ما كانوا يعانونه من قلق عميق . وقد أشار مؤلف الكتاب الى نظرية كانت تقول بأنه كلما ازدادت انتصارات الاشتراكية كلما ازدادت حدة الصراع الطبقي .

ويبدو أن هذه النظرية التي وصفها المؤلف بأنها نظرية لا يمكن فهمها على الاطلاق هي التي أشاعت القلق والذعر في الاتحاد السوفياتي يومذاك . ويقول كاتب المقال أيضا ان مدينة كومسومولسك كانت قد أثرت تأثرا بليغا بحملة التطهير الكبرى ، فقد أعدم غامارنيك الذي سبق أن اختار موقع هذه المدينة ، كما أعدم بلوخر الذي وضع الحجر الاساسي لهذه المدينة . ويقول أيضا ان زعماء الكومسومول (منظمة الشبيبة الشيوعية) قد ألقي القبض على كثير منهم وأطلق الرصاص على البعض . وبذلك يسجل جوكوف مؤلف الكتاب ، ان أعدادا كبيرة من قادة منظمة الكومسومول قد سحقوا سحقا بطريقة أو بأخرى . وقد أشار الى أحد قادة هذه المنظمة وهو ايفان سيدورنكو الذي أنقذ من تلك الحملات الرهيبة فأصبح بعد ذلك أبا لعدد من المشروعات الناعية في الثلاثينات بما فيها مشاريع مدينة كومسومولسك .

ويرى مؤلف الكتاب ان عقود الثلاثينات كانت فترات مجيدة من عمر الاتحاد السوفياتي البالغ خمسين عاما ، ولكنها بالرغم من مجدها هذا الا انها كانت فترات شرسة جدا . ويضيف كاتب المقال الى ذلك قوله ان هتلر قد سحق « الاجانب » ولكن ستالين قد سحق شعبه . أما جوكوف في كتابه هذا ، فيؤكد بقوة وفي اكثر من موقع من كتابه على انه بالرغم من حكم ستالين الشرس ومسلكه الا انه (أي الكاتب) لم يفقد لا هو ولا رفاقه الاخرون الايمان بعظمة بلادهم ولا بفضائل الشيوعية وانجازات الحكم في تلك الفترة الحديدية من تاريخ الاتحاد السوفياتي .

« م ... »

الولايات المتحدة

يوميات غيفارا

★★★

عندما القت القوات البوليفية القبض على ارنستو (تشي) غيفارا وقتلته في تشرين الماضي ، عثرت بين اشيائه الخاصة على يوميات له تتألف من ٣٠٠ الف كلمة . واليوميات مكتوبة بخط يده بالاسبانية وتروي بتفصيل جميع نشاطاته منذ ان وصل الى بوليفيا عام ١٩٦٦ حتى يوم القاء القبض عليه تقريبا .

وقد استخدمت الحكومة البوليفية بعض المقتطفات من اليوميات لتدين بها الثائر الفرنسي جول ريجي دوبري لمساعدته الثوار . كما انها اعتقلت نحو ٢٠ بوليفيا ذكرهم غيفارا في يومياته . ثم ، عندما استنفدت الحكومة اغراضها السياسية من اليوميات ، عرضتها للبيع .

وتتضمن اليوميات الكثير من المعلومات التي تهم من يدرس فن حرب العصابات . وتقول مجلة تايم الاميركية في عددها الاخير ان مطامح تشي كانت اكبر من الوسائل المتوفرة لديه لتحقيقها . فقد كتب يقول انه لا يريد أن يخلق « فيتنام أخرى » في بوليفيا وحسب ، بل يريد كذلك أن يبدأ حرب عصابات ثورية في الارجنتين ، وكان يتسلى في أوقات الفراغ على ما يبدو بكتابة الشعر ، وألف قصة قصيرة تدور حول ثائر شيوعي شاب يتعلم أن يتغلب على مخاوفه . ويبدو أن مثال تشي كان معديا ، اذ أن السلطات البوليفية عثرت على كتابات أخرى من وضع رفقاء تشي .

وقد أغرت هذه المواد عددا من الناشرين سارعوا الى بوليفيا لمحاولة شرائها . فالصحافية الفرنسية ميشيل راي التي أسرتها قوات الفينكونغ لثلاثة أسابيع العام الماضي ، عرضت على الحكومة البوليفية مبلغ ٤٠٠ ألف دولار من مصدر غامض ، وقالت « ان آخر شيء كان يرغب به تشي هو أن تقع يومياته في أيدي الاميركيين » .

معارك قضائية

ولفترة من الوقت ، كان من المرجح أن يفوز « بالغنيمة » الثورية الادبية كونسورتيوم تترأسه دار « ماغنوم فوتوز » في نيويورك . فقد عرض هذا الفريق مبلغ ١٢٥ دولار لقاء نشر مقتطفات من اليوميات ، وكان الفريق يتألف من « النيويورك تايمز » ومجلة « باريد » الاميركية ومجلة « شتيرن » الالمانية الغربية ومنشورات « موندادوري » و « الصنداي تايمز » اللندنية وصحيفة « التايمز » الهندية . وحرص الفريق على التحقق من صحة هذه المواد .

الا ان الفريق انهار عندما انشق على نفسه الاسبوع الماضي . وكان أحد الاسباب هو ان بعض أعضاء الفريق خشي نشوب معركة قضائية حول ملكية اليوميات . والامر الراهن هو ان الحكومة البوليفية قد أصدرت مرسوما تدعي فيه ملكية جميع الوثائق التي استولت عليها من الثوار . ولكن عائلة تشي قد تخوض معركة قضائية عالمية من أجل اليوميات . والى ذلك ، هناك خطر نشر نسخ مسروقة أو « مهربة » من اليوميات قبل أن يستطيع الفريق نشرها . ذلك أن عددا من ضباط الجيش البوليفي صوروا اليوميات . وسواء اشتراها في الاخير هذا الفريق او ذلك ، فلن يعرف القراء في العالم ، قبل شباط المقبل ، على أقل تقدير ، ماذا كان يجول في ذهن تشي وهو يخوض معاركه اليائسة الاخيرة في الجبال البوليفية الموحشة .

صدر حديثا

حكايا للحزن

مجموعة قصص

بقلم

اديب نحوي

الكتاب القصصي الثالث ، بعد « حتى يبقى العشب اخضر » و « جومبي » ، لقصاص اصيل هو نسيج وحده في كتاب القصة العربية المعاصرة ، بفنه الحي ونزعته الانسانية وروحه الالتزامية الصادقة

منشورات دار الاداب ٢٥٠ ق.ل